# الدليل الحادي عشر
## المفكرون والرسول عليه الصلاة والسلام

إِن أول العظماء الذين لهم الدور الأول في بحثنا هم عظماء الجزيرة الذين تلقوا هذه الدعوة وعاصروها إِبان ظهورها ، وفي ذروتهم أبو بكر رضي الله عنه وأجمل بحث فيه ما قاله الرسول ﷺ في إسلام أبي بكر : « ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت منه عنده كبرة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر ماعكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه» . .

وهذا هو أبو بكر الرجل العالم بأنساب العرب وأمثالهم وأخلاقهم وعاداتهم ، المتعالي عن الدنايا من الأمور فلم يشرب خمراً في جاهليته وما سجد لوثن قط . . وهذه النفس الكبيرة التي ملكت الشمائل الرفيعة ، وجدت مفتاح شخصيتها بالإسلام ، وبالعقل السليم وصارت إلى الحق وتعلقت به . والسؤال يطرح نفسه ؟ لماذا أسرع أبو بكر إلى التصديق بالرسالة والرسول ؟ هل قبل كل ذلك بلا محاكمة عقلية ؟ هل استسلم للشخصية القوية التي كان يملكها محمد عليه السلام ؟ وهذا الخبر يبين لنا الجواب . .

جاء أبو بكر إلى الرسول يسأله : يا أبا القاسم : ما الذي بلغني

عنك ؟ . . فسأله الرسول عليه الصلاة والسلام : وما بلغك عني يا أبا بكر ؟ . . قال أبو بكر : بلغني أنك تدعو إلى توحيد الله وزعمت أنك رسوله . .

قال نعم يا أبا بكر إن ربي جعلني بشيراً ونذيراً ، وجعلني دعوة إبراهيم ، وأرسلني إلى الناس جميعاً . . فما أبطأ أبو بكر أن قال : والله ما جربت عليك كذباً ، وإنك لخليق بالرسالة ، لعظم أمانتك ، وصلتك لرحمك ، وحسن مقالك ، مدَّ يدك فإني مبايعك .

إن الصدق والأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الفعال ، صفات يفهما أبو بكر ، لأنه يحبها ، ويتصف بها ويحب أهلها ، وآمن أبو بكر رضي الله عنه ، وصار الإسلام منذ تلك اللحظة ديناً عنده ، وعقيدة لها آثارها ، في سلوكه وفكره وتحليلاته للأمور . . ثم بعد ذلك انطلق ليعلن صدق إسلامه ، وعمق ثقته بالرسالة الجديدة ، وما هي إلا أيام حتى يشاهد في نادي قريش يضرب ويغمى عليه ، ثم يستيقظ ليسأل أول ما يسأل عن أحب الناس إليه . . عن رسول الله . . وإن الأشخاص المعاصرين ، هم أكثر الناس معرفة بحقيقة محمد ﷺ وأكثرهم أبو بكر رضي الله عنه ، وهذا ما نشاهد في بذله وتضحيته ، ويقدم كل ماله للدعوة الجديدة ، ويسأله الرسول ، ماذا أبقيت لأهلك وعيالك ؟ فيقول : أبقيت لهم الله

ورسوله . . ولا يكتفي بذلك بل يصدع بما آمن على الرغم من الصعوبات التي تجابه الدعوة آنذاك . فيدخل في الإسلام كبار رجال قريش والعقلاء منها ، وهذا يدل على عمق يقينه بصدق الرسول وعظمة الرسالة وهذا نشاهده عندما نستعرض أسماء من أدخلهم في الإسلام كأمثال عثمان بن عفان ، وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من عقلاء قريش وأثريائها . . وعلينا أن نطرح سؤالاً :

ما الذي دعا أبو بكر لحمل هذه المشاق . . مضحياً بنفسه وماله ، صابراً على فتن قريش ؛ ثم ما الذي أعجبه بمحمد ؟ . . علماً بأن محمداً كان إبان ذلك ضعيفاً لم يتبعه أحد . . نعم إنه أعجب بالنبل والصدق والحق والخير ، إنها بطولة الاستقامة والدعوة إليها ، إنه عرف محمداً صغيراً وخبره كبيراً وصادقه وهو في سن الأربعين فأنى له أن يقف أمام هذا الجبل الشامخ من النور غاضاً بصره . . وإذ به يصبح اليد والقلب والعون لرسول الله . .

وإن في إيمان أبي بكر ، وصدق يقينه ، وكثرة تضحياته وثباته على الحق ، وزهده في الدنيا ، وطلبه الحثيث للآخرة لدليلاً واضحاً لصدق رسالة محمد ﷺ . . ولم يعرض تاريخ الحركات الإصلاحية ، وتاريخ الأديان مثل شخصية محمد تلك الشخصية التي دانت لها الجبابرة على الرغم من قوتها وسلطانها . . فلم يسعها

إلا أن تنظر إلى الرسول بعين ملؤها الإعجاب ، ومن ثم الطاعة والتلمذة . . وإن الناظر إلى جميع العاملين من الرعيل الأول في بداية انتشار الإسلام ، يرى أن الكثير منهم كانوا يترقبون حالة أحسن مما هم فيها ، ولكن أنى لهم ، حتى جاء الإسلام فصدقوا وأذعنوا ومنهم عمر بن الخطاب وهذا الذي قيل فيه يسلم حمار الخطاب ولا يسلم عمر بن الخطاب ، لما وجدوا من فتنته وإيذائه للمسلمين ، وعندما قرأ القرآن عند أخته ، وهذا موجود في قصة إسلامه الرائعة ، دهش من بلاغته ، وأسلوبه وعمق فكرته ، فما كان منه إلا أن ألقى عصا الترحال مستسلماً للدين الجديد مخلصاً له ، ولهذا قال كلاماً يدل على عمق يقينه بصدق الرسالة : يا رسول الله ، ألسنا على الحق إن متنا أو حيينا فقال عليه الصلاة والسلام : « بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم أو حيتم » فقال عمر : ففيم الاختفاء . . والذي بعثك بالحق لنخرجن !! .

وهذا سؤال يطرح نفسه ما هي الدواعي التي جعلت عمر يقبل الرسالة . . ويخلص لها ؟ . . علماً بأنه هو القريب من محمد ﷺ ، ومن أبناء قبيلته ويعيش في كنف المدينة التي عاش فيها محمد . . ثم لماذا أنفق نصف ماله ؟! . . كل ذلك يدل على صدق الرسالة والرسول . . إن تصديق الكثير من عظماء الجزيرة وشعرائها وفرسانها المغاوير ، بل جميع العالم الإسلامي والاستمرار

على الاتباع والإخلاص إلى يومنا هذا لهو الدليل القوي على صدق ما نقول . . وإن قصة ابن سينا مع تلميذه لهي قرينة على هذه القاعدة التي أسلفنا ذكرها وهي كما يرويها أحد علماء المسلمين المخلصين في دمشق :

يروى أن ابن سينا كان له تلميذ مخلص . وعندما شاهد من أستاذه العلم والذكاء الحاد ، والذاكرة القوية ، وكثرة الخبرة بل المعرفة بجميع أنواعها من فلسفة وطب وتاريخ وفقه وجغرافيا ورياضيات وفلك . . . قال له ذات مرة ، يا أستاذ : لماذا لا تدعي النبوة وقد ادعاها من هو أقل منك علماً ومعرفة . . فلم يجب ابن سينا تلميذه شيئاً ، بل تركه ليعلمه درساً عملياً لا ينساه . . النبوّة اصطفاء من الله تعالى ولا تنال بالجهد والاجتهاد . . ومرت الأيام وقد ازداد إعجاب التلميذ بأستاذه العلامة . . وذات ليلة كانا نائمين في بيت معاً ، والوقت شتاء ، والثلج والبرد قد خيم على الأرجاء . . فنادى الأستاذ تلميذه ليجلب له كأساً من الماء بشدة . فقال التلميذ : لا أستطيع لأنني أخشى من البرد ، وحاول الأستاذ مرة ثانية وثالثة والتلميذ يؤكد على أستاذه : سامحني . . اعفني من هذا العمل . . وهم في غمرة السؤال والجواب وفي منتصف الليل وما هي إلا دقائق إذ سمعوا صوت المؤذن يؤذن لقيام الليل وألح الأستاذ في طلبه إلحاحاً شديداً فلم يجد الأذن الصاغية من تلميذه وهنا قال الأستاذ له : أتسمع صوت

المؤذن ، قال نعم . قال الأستاذ : كم من الفرق بين بعثة محمد ﷺ وحياة هذا المؤذن ، قال كثير ، فقال الأستاذ : إن هذا المؤذن قد آمن بالرسول بعد وفاته بمئات السنين ، وخرج في الشتاء القارس ، وترك الفراش لإيمانه بالرسول الصادق ، وأنت أشد الناس معرفة بي ، وألصق الناس في صحبتي وقد طلبت منك كأس ماء فلم تطعني فكيف تطلب مني إدعاء النبوة . . يا أحمق !!؟ وقال الأستاذ معلماً تلميذه : إن النبي الصادق هو الذي ينتقل صدقه من سلوكه إلى من حوله ، ويستمر صدقه كامناً في النفوس ، ينتقل عبر الأجيال دون أن يتبدد من صدقه شيء[1] .

ولا بأس أن نقول بأن العلماء والمثقفين والواعين منهم ، بشكل خاص في عصرنا الحاضر قد ازدادوا تمسكاً بهذه الرسالة لأنهم يجدون في كل يوم دليلاً جديداً على صدق إلهية الرسالة ، وصدق مصدريتها ، وصدق المرسل بها . وبعد أن عرضنا فكرة موجزة عن بعض المفكرين في الجزيرة وغيرها علينا أن نلقي الأضواء على خلاصة ما قاله كبار المفكرين العالميين في الرسالة والرسول . . .

ولنتصفح ما قالته الدكتورة لورافيشيا فاغليري أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة الإسلامية في جامعة نابولي بإيطاليا ، وقد

---

(١) من محاضرة الثلاثاء لسماحة الشيخ الدكتور أحمد كفتارو .

ألفت كتاباً سمته باللغة الإيطالية :

Apologra dell isiamismo

وترجم إلى العربية باسم « دفاع عن الإسلام » وقد قالت بالحرف الواحد ص١٤ :

فإلى الكتاب العزيز الذي لم يحرفه قط لا أصدقاؤه ولا أعداؤه لا المثقفون ولا الأميون ، ذلك الكتاب الذي لا يبليه الزمان ، والذي لا يزال إلى اليوم كعهده يوم أوحى الله به إلى الرسول الأمي البسيط آخر الأنبياء حملة الشرائع ، إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون حتى إذا نهلوا مباشرة من معين هذا الكتاب المقدس فعندئذ يستعيدون قوتهم السابقة من غير ريب .

**وتقول : إن معجزة الإسلام العظمى هي القرآن الذي تنقل إلينا الرواية الراسخة غير المنقطة . . من خلاله . . أنباء تتصف بيقين مطلق أنه كتاب لا سبيل إلى محاكاته** ، إن تعبيراته شامل جامع ، ومع ذلك فهو ذو حجم مناسب ليس بالطويل أكثر مما ينبغي وليس بالقصير أكثر مما ينبغي ، أما أسلوبه فأصيل فريد ، وليس ثمة أي نمط لهذا الأسلوب في الأدب العربي . . إلى أن تقول : **فكيف يمكن أن يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ، وهو العربي الأمي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين أو ثلاثة أبيات لا ينم أي منها عن أدنى موهبة شعرية . .**

هذه خلاصة بحثها في دراستها الطويلة عن القرآن وعن الرسول وما هذا إلا إقرار بالحق الواضح الذي لا لبس فيه، فلينصف العقلاء هذا النبي ولا يتكبروا في إقرار الحق .

ولا بأس أن نورد ما كتبه السير وليم موير في كتابه « حياة محمد » يقول عن القرآن وصدق نصوصه ونسبته ومصدريته :

وكان الوحي المقدس أساس أركان الإسلام . . ويعني به القرآن . . والأرجح أن العالم كله ليس فيه كتاب غير القرآن ؛ ظل أربعة عشر قرناً كاملاً بنصه وهذا مبلغ صفائه ودقته . . ثم يقول : محتويات القرآن ونظامه تنطق في قوة بدقة جمعه . . وما رأيك في الاستنتاج الرائع الذي وصل إليه عالم متعصب لدينه يحاول أن يحقق نقداً لمحمد ولكتابه ولكنه بعد قراءة مستفيضة خضع للحق وأنصف القرآن بأنه لا نظير له ولا يمكن ليد بشرية أن تأتي مثله وهو كتاب خالد طوال الدهور على الرغم من تطور الفكر والحياة والتصورات . .

والكاتب ر.ف بودلي يدلي بخلاصة مطالعاته في كتابه « حياة محمد الرسول » قائلاً : فعلى الساخرين من محمد في غار حراء أن يسخروا من موسى أيضاً وهو على طور سيناء ومن عيسى على تلال الجليل . . لقد قصوا نبأ تلك الأشياء في بساطة وحسن نية ، وإن هذا لينطبق على محمد بن عبد الله والملك جبريل . . ولو عاش في

القرن العشرين . . لطابقت نظرياته نظريات المتمدنين ولكان رائدهم على وجه التحقيق . .

وقال عن القرآن في كتابه « حياة محمد الرسول » ص٢١٤ . . ولهذا الكتاب سحر خفي ، له تأثير عجيب في العرب ، فقد حول الرعاة والتجار والبدو والبسطاء إلى مقاتلين وبناة إمبراطورية ، ومؤسسي مدن كبغداد وقرطبة ودلهي ، وإلى علماء وحكماء ورياضيين . . وإن هذا الكتاب ولا شك هو الذي عاون هؤلاء الرجال على أن يغزوا عالماً أوسع من العالم الذي سيطر عليه الفرس والروم ، وقد فعلوا ذلك في عشرات السنين ، واستغرق في ذلك من سبقهم قروناً ، ومع أن الفينيقيين قد ذهبوا بعيداً عن أوطانهم وكونوا أنفسهم حيثما كانت التجارة . . ورحل اليهود بعيداً ولكن مهاجرين مضطهدين أو أسرى، فهؤلاء العرب بقرآنهم قد أتوا إلى إفريقية ثم إلى أوروبا ملوكاً .

ويقول الشاعر جوتيه الذي أسلم في نهاية بحثه وقال : كلما اقتربنا منه ( القرآن ) تجدد امتعاضنا ثم يجذبنا بالتدريج ويثير فينا الدهش ثم يدفعنا إلى الإعجاب به في النهاية . .

فالشاعر الألماني الكبير يقص لنا دور التعصب الذي تربى عليه في الماضي مما جعله يشعر بالامتعاض كلما اقترب من تلاوة القرآن ، ولكن حبه للحقيقة ؛ وبحثه عنها جعله يقرأ ويسأل عن

القرآن ؛ حتى وصل إليه، فإذا به يجد الحق عنده فآمن به وأسلم لمبادئه بل دوّن قصيدة طويلة يصف بها رسول الله وعظمته ، والقارئ في كتاب « العواطف كأساس للحضارة » للكاتب الأوربي ( ج . هـ. دينسون ) ص٢٢ يرى بحثاً مستفيضاً عن عظمة الرسول في تغيير العالم وإصلاحه يقول : ففي القرنين الخامس والسادس كان العالم المتمدن على شفا جرف هار من الفوضى ، لأن العقائد التي كانت تعين على إقامة الحضارة كانت قد انهارت ، ولم يك ثم ما يعيد به مما يقوم مقامها ، وكان يبدو إذ ذاك أن المدنية الكبرى التي تكلف بناؤها جهود أربعة آلاف سنة ، مشرفة على التفكك ، والانحلال ، وإن البشرية توشك أن ترجع ثانية إلى ما كانت عليه من الهمجية ، إذ القبائل تتحارب وتتناحر ، لا قانون ولا نظام ، وكأن المدنية شجرة ضخمة متفرعة امتد ظلها إلى العالم كله واقفة تترنح وقد تسرب إليها العطب حتى اللباب ، وبين مظاهر هذا الفساد الشامل ولد الرجل الذي وحد العالم جميعه يعني محمداً ﷺ . . وهل بعد هذا القول قول لمنكر أو مكابر . .

ومما قاله الدكتور سدني فيشر أستاذ التاريخ بجامعة أوهيو الأميريكية في كتابه الشرق الأوسط في العصر الإسلامي وقد بحث فيه عن القرآن فقال :

**إنه كتاب تربية وتثقيف ، وليس كل ما فيه كلاماً عن الفرائض**

والشعائر وإن الفضائل التي يحث عليها المسلمين من أجمل الفضائل وأرحمها في موازين الأخلاق وتتجلى هداية الكتاب في نواهيه كما تتجلى في أوامره ثم يختم كلامه قائلاً :

إننا إذا نظرنا إلى مجال الإسلام الواسع في شؤون العقائد الدينية والواجبات الدينية والفضائل الدينية لم يكن في وسع أحد إلا أن يعتبر محمداً عليه السلام نبياً متعلماً جداً ومصلحاً موفقاً . .

وقال الكاتب الأوربي : الدين الحق الذي يساير المدنية هو الإسلام ، وحسبك القرآن وما فيه من نظريات علمية وقوانين ، وأنظمة ، لربط المجتمع فهو كتاب علمي اجتماعي تهذيبي خلقي[1] .

ونقول فأنى لرجل أمي أن يأتي قبل أربعة عشر قرناً بنظريات علمية وقوانين وأنظمة رائعة تثبت صلاحيتها على الرغم من تطور الحياة وترفعها عن النظريات القديمة . وفي هذا البحث نورد ما قاله الأستاذ ليوبولد فايس « محمد أسد » في كتابه ( الإسلام على مفترق الطرق ) فقال : لو كان الإسلام ومضة فكر على مسيرة التقدم الحضاري لمضى ثم جاء فكر جديد يعلوه شأناً ويترفع عنه منزلة ولكن هذا لم يتم . . ثم يقول : يخبرنا التاريخ أن جميع الثقافات

---

(١) روح المدنية للغلايني ص٢٣ .

الإنسانية وجميع المدنيات أجسام عضوية تشبه الكائنات الحية ، إنها تمر في جميع أدوار الحياة العضوية التي يجب أن تمر بها ، إنها تولد ثم تشب وتنضج ثم يدركها البلى في آخر الأمر ، فالثقافات كالنبات الذي يذوي ثم يستحيل تراباً . . تموت في أواخر أيامها وتفسح المجال لثقافات أخر ولدت حديثاً ؛ ثم ليس ثمة علامة ظاهرة تدل على أن الإنسانية مع نموها الحاضر قد استطاعت أن تشب عن الإسلام . . إنه لم يستطع أن يتبنى فكرة الإخاء الإنساني على أساس عملي كما استطاع الإسلام أن يفعل حينما أتى بفكرة القومية العليا « الأمة » إنها لم تستطع أن تشيد صرحاً اجتماعياً يتضاءل التصادم والاحتكاك بين أهله فعلاً على مثال ما تم في النظام الإسلامي ، إنها لم تستطع أن ترفع قدر الإنسان ولا أن تزيد في شعوره بالأمن ولا في رجائه الروحي وسعادته . .

وإن ما يظهر انحلالاً في الإسلام ليس إلا موتاً وخلاء يحلان في قلوبنا التي بلغ من خمولها وكسلها ، أنها لا تسمع الصوت الأزلي . .

وكتب المؤرخ الأميريكي « واشنجنون أرفينج » في شخصية الرسول فقال : هل كان ثرياً ؟ لا بل كان فقيراً ، إلا أنه تزوج خديجة فأصبح على جانب من الثراء ، وجاهد من أجل تنمية ثروته ، هل كان بارزاً ؟ نعم كان له شأن في وطنه ، فقد كان رجلاً

ذكياً وأميناً . . هل كان قوي النفوذ ؟ نعم . . فقد كانت أسرته تقوم بسدانة الكعبة وتتولى شؤون مكة تلك المدينة المقدسة ، ولذا كان مركزه وما اتصف به من أخلاق كريمة يؤهلانه ليكون موضع الثقة . ولكن حينما دعا محمد إلى الإسلام اصطدم بأسرته وقبيلته وجر على نفسه عداءها فقد كان تحطيم الأوثان يقضي على سيطرة قريش على الكعبة ، وما تستفيده من قدوم الحجاج . لقي الرسول من أجل نشر الإسلام كثيراً من العناء ، وبذل عدة تضحيات ، فقد شك الكثير في صدق دعوته ، وظل عدة سنوات دون أن ينال نجاحاً كبيراً . وتعرض خلال إبلاغ الوحي إلى الإهانات والاعتداءات والاضطهادات بل اضطر إلى أن يترك وطنه ، ويبحث عن مكان يهاجر إليه فقد كان في الأربعين من عمره حينما نزل عليه الوحي وعانى كثيراً سنة بعد أخرى في نشر الإسلام بين أفراد قبيلته ؛ وحينما هاجر من مكة كان قد قضى ثلاثة عشر عاماً . فتحول من تاجر ثري إلى مهاجر معدم ، وحينما وصل الرسول إلى المدينة المنورة لم يكن يفكر في القوة العظيمة التي كانت تنتظره ، فقد كان تفكيره منصرفاً إلى بناء مسجد يستطيع أن يصلي فيه وينشر فيه دعوته ، وكان كل أمله أن ينشر الإسلام في جو من الهدوء والسلام .

حتى قال :

وكان الرسول في كل تصرفاته منكراً ذاته رحيماً . بعيداً عن التفكير في الثراء أو المصالح المادية . . فقد ضحى بالماديات في سبيل الروحانيات[١] .

وقال الدكتور جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : إن أصول الأخلاق في القرآن عالية علو ما جاء في كتب الديانات الأخرى جميعها . وقال أيضاً : وإذا قيست الرجال بجليل أعمالها كان محمد من أعظم من عرفهم التاريخ[٢] .

وقال الدكتور ليتز عن الرسول عليه السلام : إنني لأجرؤ بكل أدب أن أقول : إن الله هو مصدر ينابيع الخير والبركات كلها ولو كان يوحي إلى عباده فدين محمد هو دين الوحي ولو كانت آيات الإيثار والأمانة والاعتقاد الراسخ القوي وسائل التمييز بين الخير والشر ، ودفع الباطل هي الشاهدة على الإلهام فرسالة محمد هي هذا الإلهام[٣] .

وقال البروفسور بورسوث سميث في كتابه :

Mohammad and Mohammamanism

---

(١) كتاب حياة محمد واشنجتون أرفنج .
(٢) ص١٤ .
(٣) الإسلام يتحدى ص٣٤٤ .

لقد ادعى محمد لنفسه في آخر حياته ما ادعاه في بداية رسالته وإني لأجدني مدفوعاً إلى الاعتقاد بأن كلاً من الفلسفة العليا والمسيحية الصادقة سوف تضطران يوماً ما إلى التسليم بأنه كان نبياً صادقاً من عند الله[1] . .

وقال البروفسور ستوربارت : إنه لا يوجد مثال واحد في التاريخ الإنساني بأكمله يقارب شخصية محمد . . ويضيف قائلاً : ألا ما أقل ما امتلكه من الوسائل المادية وما أعظم ما جاء به من البطولات النادرة ، ولو أننا درسنا التاريخ من هذه الناحية ، فلن نجد فيه اسماً منيراً هذا النور ، واضحاً هذا الوضوح غير اسم النبي العربي .

وفي دائرة المعارف البريطانية : لقد صادف محمد النجاح الذي لم ينل مثله نبي ولا مصلح ديني في زمن من الأزمنة .

ويقول بورسورث سميث : إن محمداً بلا نزاع أعظم المصلحين على الإطلاق . .

ولا بأس أن نذكر ما جاء في وصفه الرائع ما يدلنا على عظمته وقالوا : إنه كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، طويل السكت ، لا يتكلم في غير حاجة ، ليس الجافي ولا المهين

---

(١) الإسلام يتحدى ص١٧٦ .

يعظم النعمة وإن دقت ، لا يذم فيها شيئاً ، ولا تغضبه الدنيا ولا ما كان لها فإذا تُعدي على الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، وكان خافض الطرف ، نظره إلى الأرض أطول من نظرّه إلى السماء ، ومن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، ولا يطوى عن أحد من الناس بشره ، وقد وسع الناس بسطه وخلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، يحسن الحسن ويقويه ، ويقبح القبيح ويوهيه ، معتدل الأمر غير مختلف ، وكان أشد الناس حياء ، لا يثبت بصره في وجه أحد ، له نور يعلوه كأنه الشمس تجري في وجهه ، لا يؤيس راجيه ولا يخيب سائله ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، أجود الناس بالخير[1] .

ولو أردنا أن نكتب كل ما قيل عن الرسول وصدق رسالته من أقوال العلماء لما اكتفينا بمجلد بل ومجلدات ونترك هذا للقارئ ليطلع أيضاً على ما قيل عن هذا الرسول العظيم . . .

وفي كتاب للبروفسور عبد الأحد داود عنوانه محمد في الكتاب المقدس يكرس أكثر من مائتي صفحة للحديث عن صفات الرسول محمد ﷺ في العهدين القديم والجديد ويوضح ذلك من خلال

---

(١) جمعت من روايات مختلفة .

دراسة متعمقه للغة الكتاب المقدس ولنبوءات الأنبياء التي تبشر بقدوم هذا النبي العظيم .

يقول في الصفحة ٨٢ : ( أقام دين الإسلام الذي وحد في أخوة حقيقية جميع الأمم والشعوب التي لا تشرك بالله شيئاً . إن جميع الشعوب الإسلامية تطيع رسول الله وتحبه وتحترمه لأنه مؤسس دعائم دينها ولكنها لا تعبده أبداً ولا ترفعه إلى مقام التقديس والتأليه . لقد سحق محمد الوجود اليهودي المتمثل في قريظة وخيبر ودمر حصونهم وقلاعهم ووضع نهاية لنفوذهم هناك )[١] .

ويقول أيضاً ( وجاء محمد ﷺ بالقوّة العسكرية ، والقرآن يحل محل الصولجان اليهودي القديم والبالي والشريعة القديمة غير العملية التي تقوم على التضحيات والرهبنة الفاسدة ، ونادى محمد بأنقى الأديان وهو توحيد الإله الحق ، ووضع أفضل العملية والضوابط الأخلاقية والسلوكية للبشر )[٢] .

وقبل أن يرسل الله محمداً بالدعوة إلى الإسلام وإزالة الوثنية الأمر الذي حققه بنجاح كان أهدأ وأصدق رجل في مكة ولم يكن

---

(١) عبد الأحد داود . محمد في الكتاب المقدس ص٨٢ ـ ٨٣ طبعة الأولى ١٩٨٥ ـ قطر .

(٢) المصدر نفسه .

بالمحارب أو المشرع ، ولكن بعد أن تحمل رسالة النبوة أصبح أفصح المتكلمين وأشجع العرب ، وكان يحارب الكفار وسيفه بيده ليس لمصلحته الشخصية ولكن من أجل مجد الله وقضية دينه وهو الإسلام ، وقد عرض الله عليه مفاتيح كنور الأرض ولكنه رفضها وعندما توفي كان فقيراً )[1] .

إن الخدمة الجليلة العظيمة المدهشة التي قدمها محمد ﷺ خالصة لله ولصالح البشر لم يقدمها أي مخلوق من عباد الله ملكاً كان أو نبياً .

أما خدمته لله فإنه اقتلع جذور الوثنية من جزء كبير من الأرض ، وأما خدمته للإنسان فقد قدم له أكمل دين وأفضل شريعة لإرشاده وأمنه ، وقد أخذ الصولجان والشريعة من اليهود فحصن الصولجان وبلغت شريعته درجة الكمال ، ولو أتيح لمحمد أن يظهر ثانية في مكة أو المدينة هذه الأيام لقوبل من المسلمين بنفس المحبة والطاعة التي قوبل بها أثناء حياته في هذه الدنيا .

وسيشاهد بسرور عميق أن الكتاب المجيد الذي تركه لم يزل كحاله الذي أنزل عليه دون أقل تغيير وأنه يقرأ ويرتل كما فعل أصحاب محمد بالضبط وسيكون مسروراً لتهنئة المسلمين على

---

(١) عبد الأحد داود . محمد في الكتاب المقدس ص٨٢ ـ ٨٣ طبعة الأولى ١٩٨٥ ـ قطر .

ولائهم لدينه ولتوحيدهم لله وأنهم لم يجعلوا منه إلٰهاً أو ابن إلٰه )[1] .

ويقول في مكان آخر من الكتاب ( أرجو أن يسمح لي غير المسلمين بتقديم نصيحة من هذه الرؤيا العجيبة التي رآها دانيال . فإن عليهم أن يعتقدوا اعتقاداً جازماً بأن الله وحده هو الإله الحق وأنه سبحانه مطلع على كل من خالف أمره وانحرف عن سبيله وأن المسلمين وحدهم هم الذين يعترفون بصدق ووحدانيته المطلقة ويحظون بنعمة نبوّة محمد ﷺ سيد الأنبياء الذي أرسله الله تعالى ، والذي قرّبه إلى عرشه جلّ شأنه ) .

وحين يناقش البروفسور نبوءات أنبياء بني إسرائيل يصل إلى نتيجة واضحة ترى أن كل الإشارات التي أشاروا بها عن نبي يأتي يتميز بصفات ليست في غيره تنطبق على خاتم الرسل محمد ﷺ.

يقول البروفسور عبد الأحد ( نبوءة داود تقول : قال يهوه لسيدي ، اجلس عن يميني ، إلى أن أجعل ، أعداءك مسنداً لقدميك ، فهذا النشيد الذي قاله داود مكتوب في المزمور ١١١ واقتبسه متّى ٢٢/ ٤٤ ومرقص ١٢/ ٣٦/ ولوقا ٢/ ٤٢ وفي جميع اللغات فإن الاسمين الموجودين في البيتين الأولين من النشيد

---

(١) عبد الأحد داود . محمد في الكتاب المقدس ص٨٢ ـ ٨٣ طبعة الأولى ١٩٨٥ ـ قطر .

يترجمان هكذا «قال الرب لسيدي » بالطبع فإن كلمة الرب الأولى Lond تعني الله وكلمة سيدي الثانية Lond تعني أيضاً الله .

لا ريب في أن عين دانيال المتنبئة التي شاهدت في رؤيا برناشا ـ ابن الإنسان العظيم الذي كان محمداً كانت هي نفس العين المتنبئة لداود ، كان هذا الرجل الأكثر تمجيداً وحمداً بين البشر هو الذي رآه النبي أيوب ١٩/ ٢٥ كمخلص للناس من سلطة الشيطان .

فهل كان محمد ذلك الذي قال عنه داود سيدي أو أدوني ؟

إن الحجج التي تؤيد محمداً الموصوف بأنه سيد المرسلين وهي نفس أدون أو سيد الأنبياء حجج قاطعة وهي من الوضوح كما جاءت في العهد القديم بحيث لا يسع المرء إلا أن يدهش من جهل أولئك الذين يرفضون أن يفهموا أو يذعنوا للحق .

١ ـ إن أعظم نبي وسيد ( أدون ) في نظر الله والناس ليس بفاتح عظيم ولا مدمر للبشرية ولا منعزل يقضي حياته في كهف أو حجرة صغيرة بتعبد لله من أجل أن يخلص نفسه فقط ، ولكنه ذلك الذي يقدم مزيداً من الخير والخدمة للبشر بأن يقربهم من ضوء المعرفة بالله الحق الأحد ، وبالقضاء المبرم على قوة الشيطان ونصُبه البغيضة ومؤسساته الشريرة . لقد كان محمد هو الذي دق رأس الحية وهذا هو السبب الذي من أجله يطلق القرآن على الشيطان اسم إبليس أي المنكسر أو المسحوق . لقد طهر محمد الكعبة وكل بلاد

العرب من الأصنام وأخرج العرب من ظلام الجهالة والوثنية إلى نور السعادة والدين والقوة ، وقد نشر ذلك النور في كافة أرجاء المعمورة وإن الأعمال والإنجازات العظيمة التي قدمها محمد في سبيل الله لا يدانيها ولا يضاهيها شيء.

إن الأنبياء والصالحين والشهداء هم جند الله الذين ـ بدون شك ـ ينتظمون تحت قيادة زعيمهم محمد ﷺ في مواجهة قوى الشيطان .

إن محمداً ليس سيداً لداود فحسب بل إنه سيد الأنبياء بلا استثناء حيث أنه طهر فلسطين وسائر الأقطار التي زارها إبراهيم من الوثنية ومن نير الدخلاء.

٢ ـ بما أن عيسى المسيح نفسه يعترف أنه لم يكن سيد داود وأن المسيح لم يكن ينحدر من نسل داود فإنه لم يبقَ سوى محمد من بين جميع الأنبياء سيداً لداود وعندما نأتي إلى المقارنة بين الثورة الدينية المحمودة التي حققها ابن إسماعيل النبيل في العالم وبين الذي حققه آلاف الأنبياء مجتمعين نخرج بنتيجة تفرض نفسها وهي أن محمداً وحده هو الذي يمكن أن يستحق لقب أدون السيد المتميز .

٣ ـ كيف عرف داود أن يهوه قال لأدون اجلس أنت عن يميني حتى أجعل أعداءك كرسياً تستريح عليه قدماك وحتى سمع داود

كلمة الله هذه ؟

إن المسيح نفسه يعطي الجواب أي أن ( داود كتب هذا بالروح ) أنه رأى الأدون محمداً كما رآه دانيال وكما رآه آخرون كثيرون . بالطبع هذا السر اجلس أنت عن يميني مخفي عنا ومع ذلك نستطيع أن نحزر بالتأكيد أن هذا التكريم الرسمي له مع شرف الجلوس عن يمين عرش الله وبالتالي رفعه ليس إلى منصب سيد الأنبياء فحسب بل وسيد الخلائق كلها ، قد حدث ليلة المعراج الشهيرة إلى الفردوس الأعلى .

٤ ـ إن الاعتراض الرئيسي الوحيد على رسالة محمد السماوية وتفوقه هو تنديده بتعاليم الثالوث ولكن العهد القديم لا يعرف إلهاً سوى الله ولم يجلس سيد داود على يمين إله ثلاثي ولكن على يمين إله واحد . ومن هنا فإنه لم يوجد بين الأنبياء الذين آمنوا بالله وبذلوا في سبيله شخص عظيم بهذه العظمة قدم خدمات جليلة في سبيل الله والناس كما فعل محمد عليه صلوات الله وسلامه )[1] .

ويقول في موضع آخر : لقد قدم محمد إلى الدنيا كتاباً مقدساً لا يبارى وقدم دين الإسلام الذي هو أكثر الأديان عقلانية وبساطةً ونفعاً وكان وسيلة لهداية الملايين والعديد من الأمم الكافرة في كافة

---

(١) عبد الأحد داود : محمد في الكتاب المقدس صفحة ١١٣ ـ ١١٤ .

أرجاء المعمورة وحوّلها كلها إلى أخوة عامة متحدة تكّون مملكة الله الحقيقية والرسمية على الأرض التي نادى بها عيسى ويوحنا المعمدان )[1] .

وتحت عنوان النبي الذي يبشر بالإسلام يقول البروفسور عبد الأحد : إن دين الإسلام أي الإسلام وحده هو القادر وحده على تحديد خصائص ووظيفة النبي الحقيقي أو الإمام أو أي قائم بأمر الله في الأرض . إن الله واحد ودينه واحد ولا يوجد دين آخر في العالم كالإسلام يتبنى ويدافع عن هذه الوحدانية المطلقة لله .

ويقول في الصفحة ١٦٣ : إنها لمعجزة فريدة حقاً في تاريخ الأديان أن يطلق اسم محمد من بين جميع أبناء آدم على نجل عبد الله وآمنة في مدينة مكة لأول مرة ولا يمكن أن تكون هناك حيلة زائفة أو محاولة ما أو تزوير ما في هذا المجال لأن والديه وأقرباءه كانوا وثنيين ولم يعلموا شيئاً مطلقاً عن التنبؤات العبرية ، وأن اختيارهم لاسم محمد أو أحمد لا يمكن تفسيره بأنه كان على سبيل المصادفة أو حدثاً عرضياً .

أما الدكتور موريس بوكاي فقد تحدث في كتابه المشهور القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم عن الرسول العربي محمد ﷺ

---

(١) عبد الأحد داود : محمد في الكتاب المقدس صفحة ١٢٢ .

فقال : يزعم البعض أن هناك أقوالاً قرآنية في التاريخ تعيد أقوال التوراة والإنجيل مثل هذا الموقف لا يقل استخفافاً عن ذلك الذي يقود إلى القول بأن المسيح أيضاً قد خدع معاصريه باستلهامه للعهد القديم في أثناء تبشيره .

ومع ذلك فهكذا في الغرب يحكم على محمد ﷺ في أغلب الأحيان ويزعمون أنه لم يفعل أكثر من أن نقل التوراة والإنجيل وذلك حكم بلا محاكمة لا يضع مطلقاً في اعتباره أن القرآن والتوراة والإنجيل قد تعطي عن نفس الحدث رواياتٍ مختلفة . لكنهم يفضلون السكوت على اختلاف الروايات ثم يعلنون أنها متماثلة وبالتالي يتحاشون عن تدخل المعارف العلمية .

ثم يقول : كيف يمكن لإنسان كان في بداية أمره أمياً ثم أصبح فضلاً عن ذلك سيد الأدب العربي على الإطلاق أن يصرح بحقائق ذات طابع علمي لم يكن في مقدور أي إنسان في ذلك العصر أن يكونها وذلك دون أن يكشف تصريحه عن أقل خطأ من هذه الوجهة[1] .

ويقول فولتير : لقد نسبنا إلى القرآن كثيراً من الأباطيل ولكنه في الحقيقة براء منها فالقسُس صنفوا كتباً كثيرة في ذم المسلمين ،

---

(١) موريس بوكاي . القرآن والتوراة والإنجيل والعلم صفحة ١٤٩ ـ ١٥٠ . جمعية الدعوة الإسلامية طرابلس ١٩٨٢ .

وكتب كتّابنا وهم لا يحصرهم العدّ مؤلفات واسعة ، استطاعوا بها أن يجعلوا النساء من حزبهم ذلك بأنهم نقلوا إليهن بأن محمداً يعتبرهن حيوانات ذات ذكاء وأن الشريعة الإسلامية لا تراهن إلا إماء لا يملكن من دنياهن شيئاً ولاحظّ لهن في الحياة الآخرة ، ويقرر فولتير وبديهي أن هذا الكلام باطل . إن الذين يعزون إلى القرآن أنه يخفض من مقام المرأة إنما يعزون إليه ذلك بهتاناً وكذباً[1] .

وفي مقام آخر نسمع رأي المستشرقة لورافيشيا فاغليري وهي تتحدث فيه عن الموقف الذي كان يواجه الرسول ﷺ حين الإذن بالقتال وبعد الهجرة فتقول : ( كان من دأب الرسول بوصفه نبياً موحى إليه أن يخاطب المكيين ويحدثهم عن رؤاه السماوية التي طلبت إليه أن يصبر على الأذى والتي أثارت سخط قريش حتى إذا اتخذ القرار العسير بالهجرة إلى المدينة ، وبذلك أصبح محور صراع سياسي كان عليه أن يختار بين الموت على نحو مذل ، وهو أمر لا يتفق مع رغبات الله ، وبين القتال لإنقاذ نفسه وجماعته الصغيرة من الهلاك . كان الصراع يدور بين الفوضوية ومادية الوثنيين المتبربرين ، ومخاصمات وأكاذيب اليهود غير المتسامحين ، على الرغم من تحضّرهم البعيد من ناحية ، وبين مثل

---

(١) فولتير . الهلال والصليب ص٨٩ ـ ٩٠ .

أعلى رفيع في التجدد الديني والاجتماعي من ناحية ثانية ، ذلك كان المثل الأعلى الذي أراد محمد أن يحققه بأي ثمن فقاتل قتال الرجل الوديع ضد الغطرسة والطغيان ، أو قل قتال الرجل الذي لا يرغب في الحرب ، ولكنه مكره على منازلة أولئك الذي أصرّوا على تدميره بالقوة )[1] .

ويقول توماس كارلايل في كتابه الأبطال حين الحديث عن النبي ﷺ : ( إن اتّهامه بالتعويل على السيف في حمل الناس على الاستجابة لدعوته سخف غير مفهوم ، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل سيفه ليقاتل به الناس ، أو يستجيبوا لدعوته ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم فقد آمنوا به طائعين مصدقين ، وتعرضوا للحرب من أعدائهم قبل أن يقدروا عليها )[2] .

وقال الأستاذ رشيد الخوري ( فلا شكسبير ولا هوغو ولا تولستوي ولا غيرهم من أمثالهم يطولون مهما اشرأبت أعناقهم إلى الدرجة السفلى في تلك المنصة العالية التي يقف عليها محمد بن عبد الله وقفة سيد الأنبياء وواحدها ) .

---

(١) دفاع عن الإسلام لورافيشيا فاغليري . ترجمة منير البعلبكي . دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٣ ط٢ ص٣٠ .

(٢) المستشرقون والإسلام زكريا هاشم ص٤٣ ـ ٤٤ .

وجاء في كتاب هوفمان الإسلام كبديل ما نصه في ص٢٥٠ :

( اعتنق الإسلام اقتناعاً مباشراً حوالي ثمانية آلاف ألماني وألمانية وبعضهم جذبته إلى الإسلام سماحته ورسالته .

ذكر محمد بن عبد الله ﷺ كذلك أن وحدانية الله المطلقة كانت الدافع المباشر لإسلام كثيرين فضلاً عن وضوح الإسلام والأخوة التي يشعر بها المسلم الألماني خالصة لوجه الله . . . ) .

قال بودلي في كتابه محمد ﷺ :

( إني أعتقد أن محمداً عظيم العظمة الكافية ) .

وقال : ( أكان في مقدور رجل ، ما لم يكن ملهماً ، أن يأتي إلى الوجود بمثل هذه الأخوة العالمية ؟ ألا تنعكس سخرية معادي الإسلام عليهم ؟ وكيف يترك رجال عقيدة ازدهرت ونمت بعد موته ؟ . . إن عدد معتنقي الإسلام ليزداد اليوم بمقدار ربع مليون في كل عام ؟ وهذا دون ضغط أو إرهاب لنشر رسالة الإسلام )[1] .

ما ورد في إنجيل برنابا ( وهو القديس الممتلئ من الروح القدس تجله الكنيسة وتعظمه ) .

ورد في (٣٩ : ١٤) فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء

---

(١) ص٣٠٩ الرسول حياة محمد ر . ف بودل .

كتابة تتألق كالشمس نصها : ( لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ) .

وفي الإصحاح الرابع والخمسين يتكلم عن يوم الحشر إلى أن يقول :

« ٩ ثم يحيي الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون : ( اذكرنا يا محمد ) » .

وفي «٩٧ : ١٤ أجاب يسوع إن اسم حسياً عجيب» إلى أن يقول ( قال الله اصبر يا محمد ) . . . ١٧ إن اسمه المبارك محمد » .

وفي ١٦٣ : ٧ أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذي تتكلم عنه الذي سيأتي إلى العالم ؟ « ٨ أجاب يسوع بابتهاج قلب : إنه محمد رسول الله » .

قال أحمد فارس الشدياق : ( إن النبي محمد ﷺ تحدى بالقرآن فأعجز أساطين الفصحاء ، وأعيا مقاويل البلغاء ، وأخرس ألسنة فحول البيان من أهل صناعة اللسان ، وذلك في عصر كانت القوى فيه قد توافرت على الإجادة والتبريز في هذا الميدان ، وفي أمة كانت مواهبها محشورة للتفوق في هذا الناحية !!

وإذا كان أهل الصناعة هؤلاء قد عجزوا عن معارضة القرآن فغيرهم أشد عجزاً وأفحش عياً بل : أين محاكاة الببغاء من فصاحة الإنسان !!! . . .

وقال عنه المستشرق جب ( أحمد فارس الشدياق كان أحد الأبطال العظام المدافعين عن الإسلام ) .

ويقول الشاعر إلياس طعمة :

( رغم ما واجه القرآن من التحديات فإنه لا يزال واقفاً في عليائه ، يطل على الجميع من سمائه ، وهو يشع نوراً وهداية ، ويفيض عذوبة وجلالة ، ويسيل رقة وجزالة ، ويرف جدة وطلاوة ، ولا يزال كما كان غضاً طرياً يحمل راية الإعجاز ويتحدى أمم العالم في يقين وثقة قائلاً في صراحة الحق وقوته ، وسلطان الإعجاز وصولته :

﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ .

وما زال يدرس الإسلام حتى قال : ( إذا لم تكن عروبة إلا بالإسلام ، فإنني عربي مسلم مؤمن ، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ) ثم سمى نفسه ( أبا الفضل الوليد بن عبد الله بن طعمة ) .

ويقول موريس بوكاي : « لكل من يشرع في دراسته ( أي القرآن ) بموضوعية ، وعلى ضوء العلوم طالعه الخاص ، وهو التوافق التام مع المعطيات العلمية الحديثة بل أكثر من ذلك يكشف القارئ فيه مقولات ذات طابع علمي من المستحيل تصور أن إنساناً

في عهد ( محمد ﷺ ) قد استطاع أن يؤلفها ، وعلى هذا فالمعارف العلمية الحديثة تسمح بفهم بعض الآيات القرآنية التي كانت بلا تفسير صحيح حتى الآن » .

يقول الكونت هنري دي كاستري :

يرد فيها على كل من قال بأن دراسته للأناجيل والتوراة هي أسس دعوته فيقول ( أما فكرة التوحيد فيستحيل أن يكون هذا الاعتقاد وصل إلى النبي ﷺ من مطالعته التوراة والإنجيل ، إذ لو قرأ تلك الكتب لردها لاحتوائها على مذهب التثليث ، وهو مناقض لفطرته ، مخالف لوجدانه منذ خلقه ، فظهور هذا الاعتقاد بواسطته دفعة واحدة هو أعظم مظهر في حياته ، وهو بذاته أكبر دليل على صدقه في رسالته وأمانته في نبوته[1] .

ثم يتابع فيقول ( والعقل يحار كيف يتأتى أن تصدر تلك الآيات عن رجل أمي ، وقد اعترف الشرق قاطبة بأنها آيات يعجز فكر بني الإنسان عن الإتيان بمثلها لفظاً ومعنى ) .

ويقول تولستوي ( ذلك الأديب والكاتب الروسي الكبير ) :

« لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا البيئة الاجتماعية خدمة جليلة ، ويكفيه فخراً أنه هدى أمة

---

(١) ص١٤ من كتاب محمد رسول الله ترجمة الدكتور محمود عبد الحليم .

برمتها إلى نور الحق ، وجعلها تجنح للسلام : وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرقي والتقدم ، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلماً ، ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال » .

ويقول آرتين دينيه في نهاية كتابه محمد رسول الله الذي قام بترجمته الدكتور عبد الحليم محمود وهو آية من آيات العرض الفكري الجاد لحقائق الرسول والرسالة قال في ص٢٨٣ ( فدين الرسول محمد ﷺ قد أكد من الساعة الأولى لظهوره ، وفي حياة النبي عليه السلام ، أنه دين عام صالح لكل زمان ومكان ، وإذا كان صالحاً بالضرورة لكل جنس كان صالحاً بالضرورة لكل عقل ، إذ هو دين الفطرة ، والفطرة لا تختلف في إنسان عن آخر ، وهو لكل هذا صالح لكل درجة من درجات الحضارة ، وهو على ما فيه من تسامح وبساطة ، سواء بالنظر لمذهب المعتزلة ، أو بالنظر لمذهب الصوفية يؤدي للعالم هداية وتوفيقاً ، سواء في ذلك الأوربي المتحضر والزنجي الأسود من غير أن يعوق حرية الفكر عن أحدهما ، ثم يزيد عن ذلك بالنسبة للزنجي انتشاله من عبادة الأوثان » .

ومما يجب أن يعرفه القارئ أن آيتين دينيه أسلم وسمىٰ نفسه سليمان إبراهيم واشتهر باسم ناصر الدين والإسلام . وكتب رساله اسمها ( أشعة خاصة بنور الإسلام ) وله مؤلف هام ( الشرق كما يراه الغرب ) ودفن بالجزائر .

# يا عرب يا مسلمون

لقد كان الرسول ﷺ الشمس الوضاءة في تاريخ العرب ، والقبس المنير في دنيا وجودها خلال عصورها المختلفة ، والبحاثة المطالع لواقع العالم قبل بعثته وبعدها يرى الآثار العظيمة لشريعته ومبادئه ولرجاله المؤمنين ، وكنتم قد قرأتم في البحث الماضي ما قيل عن الرسول والرسالة من علماء العالم الأفذاذ ما يثبت لنا عظمة الرسول في نظر الأعداء فكيف بالمنصفين العقلاء . . وإِننا اليوم لنعيش في الصراع والضياع الذي كانت تعيشه الأمة قبل ظهور الرسول العظيم . فأمتنا قد مزقتها المحن ، وفرقتها المصالح ، وشردتها النكبات ، وتخبطت في أوحال المذلة والانحطاط ، فصارت وضيعة بعد عز ورفعة ، تخلفت عن ركب الحضارة على الرغم من أسبقيتها في غابر العصور . ضعف في كل ميدان من ميادين الحياة حتى استضعفها الملعونون من أقزام الرجال ، المشردون في كل بقاع العالم ، بل لضعفنا ولعدم استمساكنا بحبل النجاة ، وإن أمتنا تفكر بالنجاة والخلاص وتبحث عنه ، وإنها أمة تندب حظها ومكانتها بين الشعوب في وسط هذا الهشيم المحطم ، وخلال هذه المتاهات المميتة وقد اشتد الظلام على هذه الأمة

واحتدم الخطب حولها ؛ ولا بد لها من قارب النجاة واشراقة لفجرها ، وها قد بلغ الأمر منتهاه والفجر بيدنا والدواء الناجع بين ظهرانينا وقد جربته الأجيال الماضية فأنتجت لنا حضارة عالمية شهد لها علماء الاجتماع وخيم الفجر على ربوعنا فصارت الأمة هي الأمة العظيمة في دنيا الوجود . . .

فالفجر المطل هو كتاب الله العظيم ، والدواء الناجع هو الإسلام الحق الذي جاء به رسول الله ، والمصلح الأول والأخير لهذه الأمة هو الرسول العربي محمد ﷺ شاء المكبلون بأهوائهم وآرائهم وعاداتهم أم أَبَوْا وليس المصلح من يعيش بين ظهرانينا وإن فكر وكتب ووعظ وخطب ، ولكنه الحي في قلوب الناس بآرائه وشخصيته وعظمته وهو الذي تلتمسه الفكرة العظيمة لتحيا به وبصفاته وتجعل له عمراً ذهنياً يكون تاريخه ووصفه هو وصف هذه الفكرة وتاريخها وما كان محمد إلا عمراً ذهنياً محضاً في تاريخ أمتنا العربية والإسلامية تمر به آيات ومعاني القرآن لتظهر للناس سلوكاً مجسداً رائعاً وإن لم يكن محمد ﷺ هو صاحب هذه الأفكار والمجسد لها ؛ فمن يا ترى في العالم يستطيع تجسيد المعاني العظيمة إذن . . وإن لم يكن محمد ﷺ هو المصلح الأول والأخير للأمة العربية ، فمن هو المصلح إذن . . وإذا لم يكن محمد هو الرسول والنبي والمصلح فما هو دوره في العالم ، ولماذا اهتم به العلماء والحكماء ودرسوا حياته بملايين المجلدات ، وما هي

الأسباب التي دعت علماء التاريخ والاجتماع والفلسفة لدراسة تشريعه ومبادئه العظيمة .

محمدكم يا عرب به نجاة أمتكم . .

وهو النبراس الخالد للإنسانية الضائعة ، وهو الذي غير مجرى تاريخ الإنسانية لصالحكم ، فما بالكم قد تنكبتم طريقه ، وسرتم في طريق لا تصلون به إلا إلى ضياعكم . . ؟

فلو لم يكن محمد ﷺ في تاريخ العرب فما هو تاريخهم وماذا يحتوي . .

فلو كان فرنسياً لمجدوه ولعظموه ولساروا على نهجه ، ولو كان بريطانياً لأقاموا لتعاليمه الجامعات ولجعلوا قانونه هو القانون العالمي . .

فاسمعوا قول النبي العربي العظيم جواباً لسؤال قيل له : إن أمتك ستفتن من بعدك فما المخرج من ذلك فقال : « كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ، ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله ؛ ومن ولي هذا من جبار فحكم بغيره قصمه الله ، وهو الذكر الحكيم والنور المبين والصراط المستقيم ، فيه خبر من قبلكم ، وتبيان من بعدكم ، وهو الفصل ليس بالهزل وهو الذي سمعته الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عَجباً يهدي إلى الرشد . فآمنا به ، ولا يَخلَق على طول الرد

ولا تنقضي عبره ولا تفنى عجائبه . . » .

وإذا لم يكن محمد ﷺ هو القدوة والنبراس فمن من أمة العرب يستحق أن يكون المثل الذي يحتذى به في مسيرة البشرية الطويلة . . ؟

من القدوة والمثل في عالمنا وفي أمتنا في الإنسانية . . ؟

من هو الشعلة الأخلاقية المجسدة ، من يا ترى هل رجال الفلسفة . . ؟

هل رجال المادة . . هل التائهون في أنانيتهم . . ؟

هل رجال الحرب والدمار . . من هم قدوة العالم . . ؟ هل تجار الشعوب . . ؟ فمن يا ترى . . ؟ أقول ويقول معي كل منصف من الحكماء والعلماء والفلاسفة إنه محمد ﷺ هو الرسول والقدوة والمصلح .

أيها الإنسان الصامت عن اتخاذ قدوة لك في حياتك ، أيها الإنسان الذي يعيش على مبدأ اللامبالاة في حياته . . اجعل الرسول قدوتك . . لتظفر بهدوء النفس من قلقها المميت . .

أيها الإنسان الذي جعل قدوته فيلسوفاً أو عالماً . . وازن بين شخصية الرسول العظيم وبين هؤلاء الذين جعلتهم قدوتك . .

إنه الرجل العظيم في أخلاقه ومبادئه وإنسانيته وتشريعاته إنه

الرجل الذي لا مثيل له في العالم بإقرار العظماء الذين يعرفون أندادهم بل نقول بصراحة وصدق : لا ند للرسول في عالم البشر . .

وأنتم يا مسلمون . . أعيدوا للعالم صفات الرسول المجسدة في سلوككم واعرفوا حقيقة نبيكم لتعودوا إلى العزة والرفعة ﴿ لله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ أجيبوا داعي الله . . لبوا نداء القرآن . . كونوا نسخة حية لكتاب الله . . فإنه لا نجاة إلا به ؛ وبدراسة الواقع وتطابقه مع المجتمع المسلم الأول . . ولنقرأ ما قاله (ليكونت دي نوي) في كتابه مصير البشرية، قال: لا خلاص للنوع البشري إلا بالعقيدة الصحيحة القوية الحية بمثلها العليا ، العارفة بتقدم العلم ، الخالية من التحامل على الذكاء . .

وقال عالم أوربي آخر : كانت رسالة محمد بن عبد الله أخطر ثورة عرفها العالم للتحرر العقلي والمادي وكان جند القرآن أعدل رجال وعاهم التاريخ . . وما أروع أن نقرأ قول الله تعالى : في دعوته لنا :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم ﴾ .

وقال الرسول ﷺ في خطبة له : وهي من أروع ما قال في أسلوب بليغ وفكر جامع يدل على شخصية فذة واطلاع ثابت ،

وحكمة بالغة فقال : « إن أحسن الحديث كتاب الله ، قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الإِسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من أحاديث » .

obeikandl.com

# الخاتمة

وإنني بعد هذا البحث الذي توصلت فيه إلى اليقين الدال عليه من البراهين العلمية والاستدلالات العقلية بأن هذا الإسلام العظيم بمبادئه السامية وأخلاقه الرفعية ، ودعوته الصادقه ، ووحدانيته المتفردة ، وأحكامه التشريعية الخالدة ، وإنسانيته الشاملة ، وحضارته المادية والروحية المتوازنة ، كل هذا ليدلنا دلالة واضحة على صدق نبوة محمد ﷺ وما عبقريته إلا ظل من ظلال الرسالة التي اصطفاه الله لحملها وأدائها .

وإن القرآن العظيم كتاب الله وهو الذي تكفل الله بحفظه ما دامت السموت والأرض ليبقى النبراس المضيء للبشرية في تحقيق سعادتها في الدنيا والآخرة .

وكل الدعوات الصادرة عن أقلام معاصرة لتحجيم دور الإسلام في المشاركة الفاعلة في حضارة المجتمع المعاصر ما هي إلا فقاعات تذوب بمرور الهواء عليها ليحطم فراغها ، وليبدد مقولاتها ، وأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيبقى خالداً مخلداً .

والتشكيك في مكانة محمد ﷺ قديماً وحديثاً ما هو إلا سهم مسموم في صدر هذه الأمة ، ولا بد لنا في عجالة أن نفيَ دور النبوة وأهميتها في إيضاح مجمل القرآن ، وتفسيره ، وتبيان غامضه ، وتقييد مطلقه ، وتفصيل مجمله فهو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي قال الله تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ وقال جل ثناؤه : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ فسنته لها مكانتها الكبيرة في إسلامنا العظيم ، منها نأخذ الأحكام المفصلة التي أجملها القرآن الكريم فهي ملزمة في حال الإلزام ، ومستحبة في حال الاستحباب ، وللإباحة في حالة الاختيار ، إن كانت صحيحة قطعية الثبوت والدلالة .

ولا بد لأمتنا اليوم من عودة رائدة في وعي ثقافي مدروس لإعادة النظر في دراسة السيرة النبوية لمراحل شبابنا كل حسب طاقته ليبقى القدوة والأسوة في مسيرتنا المعاصرة .

فرسول الله ﷺ هو نبي هذه الأمة ، وهو الذي أوجد كيانها ، ووحد طاقتها ، وجمع كلمتها وما زالت سيرته ورسالته هما القادران لإعادة مجد هذه الأمة إن اتخذت القرآن الكريم دستوراً لها والسنة مسلكاً ومنهجاً في وجدانها والشريعة الغراء محكمة في حياتها وها نحن نجد تدهور الحضارات المادية الفارغة من الفطرة في المعسكر الماركسي والرأسمالي لعدم توازن المادة والروح في وجدان الإنسان الذي لا يمكن أن يعيش إلا بجسد وروح .

# المراجع والمصادر


١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير المراغي .

٣ ـ نفسية الرسول ﷺ . لبيب الرياشي .

٤ ـ سيرة ابن هشام .

٥ ـ الأبطال . توماس كارليل دار الكتاب العربي .

٦ ـ فلسفة تاريخ محمد ﷺ . محمد جميل بيهم .

٧ ـ سيدنا محمد رسول الله ﷺ . عبد الله سراج الدين .

٨ ـ الرسول ( حياة محمد ﷺ ) . ر. ف بودلي .

٩ ـ نبوة محمد من الشك إلى اليقين . الدكتور فاضل السامرائي .

١٠ ـ إظهار الحق . لرحمة الله بن خليل الرحمن الهندي مطبعة الرسالة .

١١ ـ أعلام النبوة . للماوردي .

١٢ ـ إنجيل برنابا .

١٣ ـ تثبيت دلائل النبوة . لقاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني .

١٤ ـ دلائل النبوة . لأبي نعيم الأصبهاني .

١٥ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد . لابن القيم الجوزية .


obeikandl.com

١٦ ـ صحيح البخاري .
١٧ ـ صحيح مسلم .
١٨ ـ موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين . لمصطفى صبري شيخ الإسلام .
١٩ ـ الوحي المحمدي . لمحمد رشيد رضا .
٢٠ ـ مطلع النور . عباس محمود العقاد .
٢١ ـ عبقرية محمد ﷺ . عباس محمود العقاد .
٢٢ ـ محمد والقرآن . كاظم الشيخ سليمان آل نوح .
٢٣ ـ حاضر العالم الإسلامي . شكيب أرسلان .
٢٤ ـ محمد المثل الكامل . أحمد جاد المولى .
٢٥ ـ الإسلام كبديل . د. مراد هوفمان ( سفير ألمانيا بالرباط ) .
٢٦ ـ محمد رسول الله . د. عبد الحليم محمود .
٢٧ ـ أنا والإسلام. الدكتور نظمي لوقا .
٢٨ ـ خاتم النبيين . لأبي زهرة .
٢٩ ـ صورة من حياة الرسول . أمين دويدار .
٣٠ ـ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه . عباس محمود العقاد .
٣١ ـ محمد ﷺ رشيد رضا . مكتبة القدس بغداد .
٣٢ ـ دراسة في السيرة النبوية . للدكتور عماد الدين خليل .
٣٣ ـ السيرة النبوية . لأبي الحسن الندوي .
٣٥ ـ حياة محمد ﷺ . محمد حسين هيكل .

٣٦ ـ قبسات من حياة الرسول . الشيخ محمد أحمد عساف .
٣٨ ـ مصير البشرية . ليكونت دي نوي .
٣٩ ـ الله يتجلى في عصر العلم .
٤٠ ـ إعجاز القرآن . للباقلاني .
٤١ ـ تاريخ الأدب العربي . مصطفى صادق الرافعي .
٤٢ ـ هل الله موجود ؟ مجموعة من الباحثين .
٤٣ ـ وامحمداه . الدكتور نظمي لوقا .
٤٤ ـ العلم يدعو للإيمان . كريسي موريسون .
٤٥ ـ الإسلام والعلم الحديث . عبد الرزاق نوفل .
٤٦ ـ القرآن والعلم الحديث . عبد الرزاق نوفل .
٤٧ ـ ما يقال عن الإسلام . عباس محمود العقاد .
٤٨ ـ العلم وأنشتين .
٤٩ ـ كتاب الشمس . الدكتور جورج جامون .
٥٠ ـ مع الله في السماء . الدكتور أحمد زكي .
٥١ ـ بناء الإنسانية . بريفولت .
٥٢ ـ الدفاع غن الإسلام . لورافيشيا فاغليري .
٥٣ ـ العقيدة والمعرفة . زيغريد هونكه .
٥٤ ـ المنازعة بين العلم والدين . دريبر .
٥٥ ـ تاريخ العرب . سيدلوت .
٥٦ ـ حضارة العرب . كوستاف لوبون .



obeikandl.com

٥٧ ـ شمس العرب تسطع على الغرب . زيغريد هونكه .
٥٨ ـ حياة محمد . وليم موير .
٥٩ ـ العواطف كأساس للحضارة . ج. هـ. دينسون .
٦٠ ـ روح المدينة . للغلاييني .
٦١ ـ الإسلام على مفترق الطرق . ليوبولدفايس ( محمد أسد ) .
٦٢ ـ حياة محمد . واشنجتون أرفنح .
٦٣ ـ الإسلام يتحدى . محمد خان .

obeikandl.com